مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
147 (1)- 2023: 58 -77

Damascus University Journal of Historical Studies
147 (1) - 2023 : 77-58

الاستثمارات البلجيكية في السلطنة العثمانية
1284- 1332هـ/ 1868-1914م

مرح البرغش[1] **أ. د. بشرى خير بك[2]**

[1] طالبة دكتوراه، اختصاص تاريخ حديث ومعاصر جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

[2] أستاذ دكتور – قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق.

الملخص

سعت بلجيكا جاهدة عند استقلالها 1245هـ/ 1830م إلى توسيع أعمالها التجارية خارج حدودها، ومع قيام الثورة الصناعية في أراضيها ظهرت الحاجة إلى هذا التوسع لتأمين المواد الأولية لمصانعها ومن ثم سوق لتصريف منتجاتها الصناعية، فجاءتها الفرصة المناسبة لتكثيف أعمالها التجارية خارج حدودها عندما عقدت معاهدتين تجاريتين مع السلطنة العثمانية خلال الأعوام 1254-1255هـ/ 1839-1840م ففتحت بذلك أبواب السلطنة التجارية أمامها، وسارت بلجيكا بعد ذلك على نهج الدول الأوروبية الرأسمالية عبر استغلال الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تمر بها السلطنة للمساهمة بتقديم قروض لها إلى جانب الدول الأوروبية الأخرى.

ثم بدأت بتصدير رؤوس أموالها إلى السلطنة شيئاً فشيئاً لبدء استثماراتها هناك، فحصلت على عدد من الاستثمارات في كل من سالونيك وأزمير وإستانبول إلى جانب المساهمة بعدد من الاستثمارات الأخرى مع الدول الأوروبية المستثمرة هناك؛ مما ساعد بلجيكا على تحقيق أرباح طائلة لرفد اقتصادها؛ إلا أن الحظ لم يحالفها كثيراً، ولم تستطع الانفراد بالكثير من الاستثمارات؛ لأنها لم تتمكن من الوقوف بوجه الدول الأوروبية الكبرى، فبقيت استثمارات بلجيكا قليلة مقارنةً مع الاستثمارات التي حصلت عليها سائر الدول الأوروبية (بريطانيا – فرنسا– ألمانيا) في السلطنة العثمانية.

الكلمات المفتاحية: السلطنة العثمانية، الاستثمارات البلجيكية، الاستثمارات الأجنبية.

تاريخ الايداع:2022/8/7
تاريخ القبول 2022/9/28

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

Belgian Investments In The Ottoman Sultanate 1284-1332 AH / 1868 – 1914 AD

Marah Rafea Albarghash [3] **Dr. Pr. Boushra Kheir Beik** [4]

[3] Phd Student, University Of Damascus, Faculty Of Letters and Humanities, Department Of History, Modern and Contemporary History.

[4] Professor Doctor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - Damascus University.

Abstract

Belgium strived upon its independence in 1245 AH / 1830 AD to expand its commercial business outside its borders, and with the outbreak of the industrial revolution in its lands, the need for this expansion appeared to secure raw materials for its factories and then a market for the disposal of its industrial products. The Ottoman Sultanate during the years 1254-1255 AH / 1839-1840 AD, thus opening the commercial doors of the Sultanate to it, and then Belgium followed the approach of the capitalist European countries by exploiting the political, economic, social, and cultural crises that the Sultanate was going through to contribute to providing loans to it along with other European countries.

Then it began exporting its capital to the Sultanate little by little to start its investments there. It obtained several investments in Thessaloniki, Izmir, and Istanbul, in addition to contributing several other investments with European countries investing there. Which helped Belgium to achieve huge profits to supplement its economy; However, she was not very lucky, and she was not able to single out many investments; Because it was unable to stand up to the major European countries, Belgium's investments remained few compared to the investments obtained by other European countries (Britain - France - Germany) in the Ottoman Sultanate.

Keywords: The Ottoman Sultanate, Belgian Investments, Foreign Investments.

Received: 2022/8/7
Accepted: 2022/9/28

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

فرضت الظروف الداخلية والخارجية ضغوطاً كبيرة على السلطنة العثمانية حتى بداية القرن التاسع عشر؛ مما أدى إلى تفكك السياسات الاقتصادية وضعف الإدارة الحكومية، فأدركت السلطنة ضرورة الانفتاح على الاقتصاد العالمي بغية اللحاق بالتطور الذي شهدته الدول الأوروبية، فأصدرت عدداً من المراسيم تحت مسمى الإصلاحات العثمانية "كخط شريف كلخانة (Gülhane Hattı Hümayünu) 1255هـ/ 1839م، وخط همايون (Hattı Hümayün) 1272هـ/ 1856م[1]"، إلا أنها لم تحقق الغاية المرجوة منها للنهوض بالسلطنة؛ لأن الاصلاح كان يهدف إلى تثبيت حكم الطبقة الحاكمة، فنتج عن ذلك إرهاق الخزينة العثمانية، ومن ثم تدخل الأجانب في شؤون السلطنة الداخلية بحجة المساعدة بالإصلاحات فكان لذلك آثاره المستقبلية المدمرة.

حاولت السلطنة العثمانية التخلص من الأزمة المالية التي تمر بها عبر استغلال مواردها الداخلية لجني عائدات مالية ترفد خزائنها؛ إلا أن ذلك لم يستطع الوقوف في وجه التضخم المالي الكبير، والحروب الخارجية المستمرة، نتيجةً لذلك أرادت السلطنة الحصول على طرق بديلة وعاجلة لكسب الأموال فلم يكن أمامها إلا اللجوء إلى الاقتراض القصير الأجل من البنوك المحلية، لكن هذه القروض لم تكن الحل الأمثل لمعالجة التدهور المالي، فاضطرت لتكرار الاقتراض، ولكن من الدول الأوروبية الكبرى[2]، مما أدخل السلطنة بمرحلة جديدة من تاريخها مع أوروبا، وبدأت الاستثمارات الأجنبية غير المباشرة في السلطنة العثمانية عبر تقديم القروض، وما لبثت أن تحولت إلى استثمارات مباشرة عبر تصدير رؤوس الأموال، فبدأت كل دولة أوروبية تحصل على امتيازات استثمارية تناسب أهدافها واهتماماتها، فكانت بريطانيا أول دولة أوروبية تدخل مجال الاستثمارات في السلطنة، تلتها فرنسا، وقد كان ذلك مشجعاً لدخول بعض الدول الأوروبية الأخرى، مثل بلجيكا التي تمكنت لأسباب عديدة من دخول مجال الاستثمارات في السلطنة العثمانية في عدد من المجالات بما يناسب أهدافها مثل: السكك الحديدية، والترام، والمياه، والإضاءة، والكهرباء. فما هي الأساليب التي اتبعتها للوصول إلى غاياتها في الأراضي التابعة للعثمانيين؟ وهل حققت أهدافها الاستثمارية هناك؟

وعليه فإن البحث يهدف إلى تقديم دراسة أكاديمية بالاعتماد على دراسة الشركات التي أسستها بلجيكا في السلطنة العثمانية، ومعرفة أنشطتها ونوعية الأعمال التي قامت بها، والنتائج التي حققتها، والتي بدورها أثرت على السلطنة العثمانية.

أما أهمية البحث فإنها تنبع من الأهمية التي تمثلها الاستثمارات البلجيكية في السلطنة العثمانية خلال المدة الممتدة منذ بداية تقديم رؤوس أموالها للمساهمة باستثمارات السكك الحديدية في العام 1284هـ/ 1868م، حتى توقف الاستثمارات البلجيكية خاصةً والأجنبية عامةً خلال الحرب العالمية الأولى 1332هـ/ 1914م عن العمل، إلى جانب ما رافق ذلك من أحداث تركت أثرها التاريخي السياسي والاقتصادي في السلطنة العثمانية وبلجيكا.

وقد ارتكزت الدراسة على المنهج التحليلي التاريخي؛ باستعراض الأحداث وتحليلها لاستنتاج المعلومات والوقائع منها، عبر الاعتماد على عدد الدوريات الأجنبية المنشورة المعاصرة لمرحلة البحث، والتي واكبت نشاط الاستثمارات البلجيكية في السلطنة العثمانية

---

[1] حول خط شريف كلخانة 1255هـ/ 1839م، وخط همايون 1234هـ/1856م يُنظر: صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 2000م، ص101–102.

[2]- للمزيد عن بداية القروض الأوروبية للسلطنة العثمانية ينظر:

Birdal, Murat: The Political Economy Of Ottoman Public Debt Insolvency and European Financial Control in The Late Nineteenth Century, I.B. Tauris Publishers, New York, 2010, P 25-28. Blaisdell, Donald: European Financial Control in the Ottoman Empire, Columbia university press, New york, 1929, p26. Du Velay, A: Essai sur L'Histoire Financière de la Turquie, Depuis le Règne du Sultan Mahmoud II Jusqu'à nos Jours, Arthur Rousseau, Paris, 1903, p. 143.

لاستخلاص المعلومات منها، إلى جانب الاعتماد على عدد من الكتب الأجنبية (الفرنسية والتركية والإنكليزية) وبعض المراجع العربية التي أغنت البحث. وقد تم تناول الموضوع بتقديم لمحة عامة عن الأوضاع السياسية البلجيكية وأثرها في بدء استثماراتها في السلطنة العثمانية، ومن ثم توضيح العلاقات التجارية العثمانية-البلجيكية وأشهر المعاهدات التي عقدت بينهما، ثم تعرض البحث للاستثمارات البلجيكية في السلطنة العثمانية في مجال السكك الحديدية والمياه والكهرباء والإضاءة والكهرباء، وقد خلصت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات التي ركزت على أهداف بلجيكا من وراء هذه الاستثمارات وأثر الاستثمارات الأجنبية عليها. وهنا لابد من التنويه إلى أن المعلومات التي توفرت في الصحف والمصادر الأجنبية فرضت خطة البحث، إلا أنها لم تسعف البحث ببعض النقاط التي بقيت قيد التساؤل.

أولاً: لمحة عامة عن الأوضاع السياسية البلجيكية وأثرها في بدء استثماراتها في السلطنة العثمانية:

ارتبطت بلجيكا سياسياً منذ خمسينيات القرن الثالث عشر الميلادي ببلدان الأراضي المنخفضة التي شملت "بلجيكا، وهولندا، ولوكسمبورغ، وأجزاء من شمالي فرنسا، وغربي ألمانيا"، فخضعت في العام 881هـ/ 1477م لحكم آل هابسبورغ (Habsburg)[3] في النمسا، ثم ما لبثت أن وقعت تحت حكم الإسبان في العام 921هـ/ 1516م[4]، وبقي الأمر على ذلك حتى بدأت في العام 1112هـ/ 1701م مجموعة من الحروب الأوروبية العامة، التي أطلق عليها حرب الوراثة الإسبانية، وانتهت في العام 1125هـ/ 1714م بعقد معاهدة أوترخت (Treaty of Utrecht) وبموجبها أُعيدت الأراضي المنخفضة بما فيها بلجيكا للنمسا[5].

وقد تمكنت فرنسا في العام 1208هـ/ 1794 إثر الحروب التي خاضتها ضد الدول الأوروبية من احتلال بلجيكا وطرد النمساويين منها، فأصبحت بلجيكا جزءاً من فرنسا وحلت القوانين الفرنسية محل البلجيكية، وأصبحت الفرنسية اللغة الرسمية للبلاد، وبقي الحال على ذلك حتى هزيمة الامبراطور الفرنسي نابليون بونابرت (Napoléon Bonaparte) 1182-1236هـ/ 1769-1821م[6] في معركة واترلو (وسط بلجيكا) في العام 1230هـ/ 1815 حيث عقد مؤتمر فيينا بحضور سفراء عدد من الدول الكبرى "كالنمسا وبريطانيا وروسيا وبروسيا" لإعادة رسم الخريطة الأوروبية ولتقرير الوضع السياسي لبلجيكا، وجرت مباحثات فيما بينهم تقرر فيها أن بلجيكا ضعيفة لا يمكن منحها الاستقلال؛ لأن فرنسا ستتمكن مرة ثانية من ضمها إلى أملاكها، لذلك لابد من وضع حاجز أمام أطماع فرنسا عبر توحيد بلجيكا وهولندا في مملكة هولندا[7].

---

[3]- آل هابسبورغ: من العائلات الملكية الأوروبية التي تولى أفرادها الحكم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة ما يقارب 400 عام، وقد أسسها الإمبراطور الجرماني رودلف الأول (671-691هـ/ 1273-1291م)، وتولى أفرادها قيادة الإمبراطورية الرومانية المقدسة منذ العام 841هـ/1438م، أما بالنسبة لاسم الأسرة فهو مشتق من قلعة هابسبورج أو قلعة الصقر التي بنيت في سويسرا في العام 410هـ/ 1020م. باتريك، جون: القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة ناهد إبراهيم دسوقي، دار المعارف، د.ط، الإسكندرية، 2003م، ص189.

[4]- Der Essen, Léon Van: A Short History of Belgium, The University of Chicago Press Chicago, Illinois, 1916, P 94-130.

[5]- الزيدي، مفيد: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، 4 أجزاء، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط3، عمان، 2009م، ج2، ص531.

[6]- نابليون بونابرت: امبراطور فرنسي، ولد في مدينة اجاكسيو في جزيرة كورسيكا، خدم برتبة ملازم مدفعية، وانضم إلى قوات الثورة الفرنسية في العام 1205هـ/ 1791م، وكلف بالعديد من المهمات العسكرية داخل البلاد وخارجها، وفي العام 1218هـ/ 1804م توج رسمياً كإمبراطور لفرنسا، وفي عهده حققت فرنسا انتصارات عظيمة ضد الدول الأوروبية فيما عرف بالحرب النابليونية وبقي الحال على ذلك حتى خسارته في معركة واترلو في العام 1230هـ/ 1815م، حيث نُفي إلى جزيرة سانت هيلانه في المحيط الأطلسي وبقي هناك حتى وفاته في العام 1236هـ/ 1821م. باركنسن، روجر: موسوعة الحرب الحديثة، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، جزأين، دار المأمون، د.ط، بغداد، 1990م، ص432-434.

[7]- Der Essen: A Short History Of Belgium, P 141-145.

استغل الهولنديون نتيجة الوحدة خيرات بلجيكا، وحصروا المناصب الكبرى لأنفسهم، وفرضوا اللغة الهولندية لغةً رسمية للبلاد، فأثار ذلك البلجيكيين الكاثوليك الذين رفضوا الخضوع لحكم الهولنديين البروتستانت، وعارضوا سياستهم في المنطقة، فثار البلجيكيون في شوارع بروكسل (عاصمة بلجيكا) ضد القوات الهولندية واشتبكوا معهم في العام 1245هـ/ 1830م وتفوقوا عليهم، وأعلنوا استقلالهم عنها[8]، وبذلك تثبت بلجيكا في العام 1246هـ/ 1831 دستوراً جديداً

واختارت ليوبولد الأول (Léopold Ier) 1204–1281هـ/ 1790–1865م[9] ملكاً لها[10]، فوافقت الدول الأوروبية على استقلال بلجيكا باستثناء هولندا التي رفضت ذلك، وحاولت جاهدة إعادة الوحدة كما كانت سابقاً واشتبكت مع البلجيكيين منذ العام 1246هـ/ 1831م إلا أنها لم تستطع تحقيق غاياتها في ظل مساندة الدول الأوروبية عامةً وفرنسا خاصةً لاستقلال بلجيكا، فتم توقيع معاهدة لندن في العام 1254هـ/ 1839م التي أنهت الحرب الهولندية–البلجيكية واعترفت باستقلال بلجيكا رسمياً تحت حكم ليوبولد الأول[11]. أدى الاستقلال البلجيكي إلى أزمة اقتصادية شديدة في الأراضي البلجيكية، إذ حُرمت بلجيكا من الأسواق الهولندية التي كانت تشكل الحجر الأساس في اقتصادها، وضعفت فيها الصناعات الصوفية والقطنية والمعدنية، كما توقفت الأعمال التجارية–البحرية فيها، وانتقل عدد كبير من التجار البلجيكيين إلى هولندا؛ بسبب إغلاق الأخيرة نهر سخيلده (L' Escaut) الواقع غربي بلجيكا وجنوب غرب هولندا[12].

حاول الملك ليوبولد الأول إنهاء أزمة الكساد الاقتصادي الذي سببه الاستقلال عبر تطوير الموارد الاقتصادية لبلده، وتكثيف الصناعات وتطويرها وإنشاء المؤسسات الصناعية الخاصة بها لتنافس الصناعات في الدول الأوروبية الأخرى، وما إن تطورت الصناعة حتى بلغت أوجها حتى بدأت في التركيز على مناطق خارج بلجيكا لتصريف صناعاتها الثقيلة، وفي الوقت ذاته لتأمين إمدادات رخيصة من المواد الخام[13]، نتج عن ذلك تغلغل تجاري عزز تصدير رؤوس الأموال إلى الخارج فكانت السلطنة العثمانية إحدى الأماكن التي تركزت الأنظار عليها.

ثانياً: العلاقات التجارية العثمانية–البلجيكية وأشهر المعاهدات التي عقدت بينهما:

ارتبطت العلاقات التجارية العثمانية–البلجيكية منذ قيام السلطنة العثمانية بالدول التي حكمت بلجيكا كالنمسا وإسبانيا وفرنسا على التوالي، فكانت تتم التجارة بين هذه الدول وبين السلطنة حتى القرن السادس عشر عبر وساطة الموانئ البحرية للممالك الإيطالية كجنوة وراغوزا، ثم ما لبثت أن تطورت العلاقات التجارية بينهم منذ عقد أولى المعاهدات التجارية العثمانية–الأوروبية[14] في ثلاثينيات القرن السادس عشر، وأصبحت مباشرة دون وساطة، وبقي الحال على ذلك حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر وبالتحديد عند استقلال بلجيكا، إذ ازدادت الصادرات البلجيكية إلى السلطنة العثمانية حتى شغلت الأخيرة بين الأعوام 1249هـ/ 1834م إلى

---

[8]– حسن، محمد عبد الغني: استقلال بلجيكا والنظام الملكي فيها، مجلة الثقافة، القاهرة، 31 يوليو 1950م، العدد 605، ص3–4.

[9]– ليوبولد الأول: ملك بلجيكي، ولد في كوبروغ – ألمانيا – وتميز بثقافته وذكاءه وقدرته على التغلب على المشكلات والصعاب، شارك في الحرب ضد الملك نابليون بونابرت في العام 1231هـ/ 1816م، واختاره البلجيكيون ملكاً= =عليهم عند الاستقلال فقام بتطوير النظام البلجيكي الداخلي، وأنشأ علاقات جيدة مع الدول الخارجية عبر اتباعه سياسة محايدة. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، ط1، دمشق، 1998م، مج17، ص 364.

[10]) - Der Essen: A Short History Of Belgium, P 154-159.

[11]– خاطر، نصري ذياب: التاريخ الأوروبي الحديث، الجنادرية للنشر والتوزيع، د.ط، عمان، 2010م، ص 104–106.

[12] - Anckaer, Jan: Small Power Diplomacy and Commerce. Belgium and The Ottoman Empire During The Reign Of Leopold I (1831-1865), The Isis Press, Istanbul, 2013, P 23-24.

([13] - Anckaer: Small Power Diplomacy and Commerce, P 19-27, 34-35.

[14]– حول المعاهدات العثمانية–الأوروبية يُنظر: الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، 4 أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، القاهرة، 2013م، ج1، ص 161–181.

1252هـ/ 1837م المركز السادس في قائمة البلدان التي تستقبل الصادرات البلجيكية، وأصبحت السلطنة في العام 1253هـ/ 1838 رابع أكبر مستورد للبضائع البلجيكية بعد بريطانيا ومدن هانزا وفرنسا؛[15] لذلك فقد سعى الملك ليوبولد الأول إلى تعزيز هذا الموقف عبر عقد معاهدات مع السلطنة العثمانية كالدول الأوروبية الأخرى التي سبقته بذلك؛ لتكوين علاقات تجارية مباشرة معها، ولتزويد بلجيكا أيضاً بالمواد الأولية العثمانية المهمة لصناعاتها.

فجرى في العام 1254هـ/ 1839م توقيع أول معاهدة بينهما حصلت بلجيكا بموجبها على عدد من التسهيلات التجارية كالسماح لها بالمتاجرة براً وبحراً في السلطنة، وتأدية الرسوم الجمركية المترتبة عليها وبالقيمة ذاتها المحددة لباقي الدول الأوروبية الأخرى "الأكثر تفضيلاً"، إلى جانب السماح لرعاياها بزيارة الأماكن الدينية المقدسة كالقدس وسائر الأراضي التابعة للعثمانيين سواء كان ذلك بهدف ديني أو سياحي[16].

وفي العام 1255هـ/ 1840م عقدت معاهدة ثانية بينهما أكدت على تجديد الامتيازات الممنوحة لبلجيكا في المعاهدة الأولى 1254هـ/ 1839م، إلى جانب منحها الامتيازات ذاتها التي حصلت عليها الدول الأوروبية الكبرى كبريطانيا وفرنسا في المعاهدة التجارية بالتاليمان (Baltalimanı) 1253هـ/ 1838م إذ سُمح للرعايا البلجيكيين المتاجرة بجميع المنتجات والحاصلات بمختلف أنواعها سواء بهدف بيعها داخل أراضي السلطنة، أو بهدف تصديرها إلى الوطن الأم، وتعهدت السلطنة أيضاً بإلغاء كافة الاحتكارات العثمانية المفروضة على المنتجات الزراعية، كما حددت الرسوم الجمركية لتصدير البضائع من السلطنة إلى بلجيكا بـِ 9% فقط، بينما سمح للبلجيكيين بجلب كافة أنواع البضائع إلى السلطنة برسوم جمركية قدرها 3% فقط[17]. وبذلك فتحت معاهدة العام 1255هـ/ 1840م أبواب السلطنة أمام بلجيكا وشجعتها على تكثيف أعمالها التجارية وبدء استثماراتها هناك للحاق بالدول الأوروبية الكبرى المستثمرة في السلطنة.

ثالثاً: الاستثمارات البلجيكية في السلطنة العثمانية:

سارت بلجيكا على نهج الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا – فرنسا– ألمانيا) بعد الأرباح التي حققتها ثورتها الصناعية إذ أقدمت على توثيق علاقاتها التجارية مع السلطنة ثم ما لبثت أن أسهمت بتقديم قروض لها حتى وصلت نسبة القروض في العام 1298هـ/ 1881م إلى ستة ملايين وواحد وستين ليرة عثمانية، أي: ما يعادل 7.2% من القروض الأجنبية، وارتفعت في العام 1315هـ/ 1898م إلى أربعة عشر مليوناً ليرة عثمانية، ما يقارب 17.9% من القروض الأجنبية، إلا أنها لم تصل إلى نسبة القروض المقدمة من قبل الدول الأوروبية الكبرى آنذاك[18]، كما أنها قامت بتصدير رأسمالها إلى السلطنة العثمانية وتمكنت من دخول مجال الاستثمارات هناك في عدد من المجالات بما يناسب أهدافها منها: السكك الحديدية، والترام، والمياه، والإضاءة، والكهرباء.

---

(15) - Anckaer: Small Power Diplomacy And Commerce, P 301.

(16)– آصاف، يوسف بك: المعاهدات الدولية التي عقدتها الدولة العلية مع الدول الاوروباوية، المطبعة العمومية، د.ط، القاهرة، 1888م، ص199–206.

(17)– آصاف: المعاهدات الدولية، ص207–212.

(18) - Geyikdağı, V. Necla: Osmanlı Devleti'nde Yabancı Sermaye 1854 – 1914, Hil Yayın, Istanbul, 2008, S 85.

1–الاستثمارات المباشرة البلجيكية في مجال النقل في السلطنة العثمانية:

أ– السكك الحديدية:

ساهمت بلجيكا منذ دخولها الاستثمارات المباشرة في السلطنة العثمانية إلى تقديم رأسمالها أو تقديم المعدات والآلات الثقيلة البلجيكية للمشاركة مع الدول الأوروبية (فرنسا والنمسا وسويسرا) في تأسيس عدد من السكك الحديدية هناك (إستانبول– أدرنة 1284هـ/ 1868م، روميلي الشرقية 1284هـ/ 1868م – سالونيك–ميتروفيتشا1284هـ/ 1868م، أدرنة–ديديجاك1284هـ/ 1868م، الخطوط البوسنية1284هـ/ 1868م، مودانيا– بورصة 1287هـ/1871م) كما شاركت (بريطانيا وألمانيا) لتأسيس سكة حديد العاصمة إستانبول في العام 1285هـ/ 1869م لتحقيق أرباح طائلة بالدرجة الأولى[19].

وبعد هذه المساهمة حاولت بلجيكا الحصول على امتيازات في السكك الحديدية والانفراد بها دون مشاركة الدول الأوروبية الأخرى، فقدمت شركة جون كوكريل البلجيكية(Société Anonyme John Cockerill)[20] طلب إلى السلطنة لنيل امتياز استثماري في هذا المجال ووافقت الأخيرة على منحها امتيازاً في العام 1307هـ/1890م لإنشاء سكة حديد من سامسون على البحر الأسود إلى سيواس وسط الأناضول، ثم حصلت بلجيكا على امتياز للمشاركة بأعمال البناء الخاصة بمشروع سكة حديد الحجاز، إلا أنها مع تفوقها التقني وشهرتها في السكك الحديدية والصناعات الثقيلة تخلت عن هذه الامتيازات بسبب المؤامرات السياسية الأوروبية ضدها وعدم القدرة على الوقوف في وجه الدول الأوروبية الأخرى المستثمرة في السلطنة[21]، كما أن السلطان عبد الحميد الثاني 1293–1327هـ/ 1876–1909م وضح في مذكراته أن بلجيكا أرادت امتيازات استثمارية لإنشاء سكك حديدية في السلطنة إلا أنه لم يستجب لمطالبها لأنها كانت "من الدول الدائرة في فلك بريطانيا"[22] لذلك استبعدت بلجيكا عن مثل هذه الامتيازات لكون العلاقات العثمانية– البريطانية آنذاك كانت سيئة جداً[23]،

لذلك لم تشارك بلجيكا بعد هذا العام في مجال السكك الحديدية إلا ببناء سكة حديد بابيسكي–قرقلرايلي مع فرنسا وسويسرا والنمسا في العام 1327هـ/ 1910م[24].

ب– الترام:

اتجهت بلجيكا بعد أن أخفقت مشاريعها في مجال السكك الحديدية في السلطنة إلى تطوير البنية التحتية في مجال الترام المجرور بالخيول لتحقيق عائدات مالية ضخمة ولرفد اقتصادها فاختارت لذلك مدينة سالونيك لكون سكانها كانوا بأمس الحاجة إلى وسائل

(19) - Roth, Ralf, Dinhobl, Günter: Across the Borders Financing the World's Railways in the Nineteenth and Twentieth Centuries, Routledge, New York, 2016, P 188. Geyikdağı, V. Necla: Foreign Invesment in the Ottoman Empire International Trade and Relations 1854–1914, I.B.Tauris Publishers, New york, 2011, p 117.

(20)– أسست الشركة من قبل جون كوكريل في العام 1240هـ/ 1825م في سيراينج– ليبج البلجيكية، لتصنيع كافة أنواع الحديد والصلب، إلى جانب بناء الآلات والمعدات الميكانيكية والصناعية.=

=Gesellschaft John Cockerill In Seraing (Belgien), Druckerei Von Leon de Their, Liège, 1873, P 3-6.

(21) - Geyikdağı: Foreign Invesment in the Ottoman Empire, p 68.

(22)– عبد الحميد الثاني، السلطان: مذكراتي السياسية 1891– 1908، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1979م، ص127.

(23)– لم تعد السلطنة العثمانية تحبذ إعطاء امتيازات استثمارية جديدة لبريطانيا كالسابق وخاصةً في مجال النفط والسكك الحديدية بسبب أعمالها العدوانية ضد السلطنة؛ بل أعطت الأولوية لألمانيا لكونها لم تظهر أي نوايا استعمارية كباقي الدول الأوروبية. حرب، محمد: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م، ص116، 121–132. صفوت، محمد مصطفى: انجلترا وقناة السويس 1854–1951، مطابع رمسيس، الاسكندرية، د.ط، 1952م، ص42–48. عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ص144.

(24) - Roth, Dinhobl: Across the Borders Financing the World's, P 188.

نقل حديثة لمواجهة الصعوبات الناتجة عن استخدام العربات التقليدية، وخاصة في ظل الازدياد السكاني الذي حدث فيها، وجاءت الفرصة المناسبة لبلجيكا عندما أعطت السلطنة ناملي زاده حمدي بيك[25] امتياز لتأسيس شركة الترام في العام 1306هـ/ 1889م لمدة خمسٍ وثلاثين عاماً، فقام ببيع الامتياز للبلجيكيين في العام 1309هـ/ 1892م الذين قاموا بعدة إجراءات للتمكن من البدء بتأسيس الشركة منها تمديد مدة الامتياز إلى سبعين عاماً لإتمام تجهيزات الشركة، وتقسيم رأسمالها البالغ مليون فرنك إلى ألفي سهم بخمسمئة فرنك[26].

أنشأت الشركة خطَّيْ ترام في أحياء سالونيك الأول منها في أوليمبوس بطول /خمسة آلاف ومئتي وأحد عشر كيلو متراً/، أما الثاني فيمتد من وسط المدينة إلى حديقة بشتجينار بطول /ثلاثة آلاف وستمائة وثلاثين كيلو متراً/[27]، وتتكون هذه الخطوط من ستين عربة ترام (ثلاثون منها للصيف وثلاثون للشتاء)، وخصص للترام حوالي مئة وستين حصاناً مستوردين من المجر وصربيا وكومانوفا، لأن الخيول المحلية كانت صغيرة الحجم، وغير مدربة جيداً لخدمة منتظمة ومستمرة، أما بالنسبة للحظائر والمكاتب التابعة للشركة فقد أُنشئت بالقرب من حديقة بشتجينار[28].

تمتعت شركة الترام البلجيكية في سالونيك بشعبية واسعة فازداد عدد الركاب شيئاً فشيئاً حتى وصل في العام 1312هـ/ 1895م إلى ستة ملايين وستمائة وثلاثة وخمسين ألفاً وسبعمائة واثنين وتسعين راكباً بينما وصل في العام 1321هـ/ 1904م إلى ستة ملايين وسبعمائة وثلاثة وخمسين ألفاً وسبعمائة وستة وخمسين راكباً، وبذلك فقد حققت الشركة إيرادات كبيرة بلغت حوالي مائة وأربعة عشر ألفاً وستة عشر فرنكاً سنوياً[29]. ونتيجةً للتطور الكبير الذي حققه الترام في سالونيك فقد أقدم الفرنسيون على القيام باستثمارات متطورة أكثر في مجال الترام هناك، إذ سعوا لكهربة خطوط الترام في كل من سالونيك وأزمير فحصلوا على امتياز بذلك منذ العام 1316هـ/ 1899م، وتم تأسيس شركة سالونيك وأزمير للكهرباء، وعُين البلجيكي خوسيه ألارد[30] رئيساً لمجلس الإدارة، وفي العام 1324هـ/ 1907م بدأ العمل في كهربة الترام وبدأ تشغيل أول خط ترام كهربائي في العام 1325هـ/ 1908م وقد لاقى تطور الترام شعبية جديدة في سالونيك، وتم استخدامه استخداماً كبيراً من قبل سكان المدينة، وبذلك كان الترام أحد العوامل الرئيسة التي ساهمت في تطور المدن الكبرى التابعة للسلطنة[31].

---

[25]– أحد كبار التجار في سالونيك، منحته السلطنة العثمانية العديد من الامتيازات الاستثمارية كتشغيل شركة المياه، وإنشاء خطوط الترام، فتعاون مع البلجيكيين نتيجةً لعلاقاته الوطيدة معهم، وباع معظم الامتيازات لهم، ثم انتقل مع عائلته إلى بروكسل وبقي هناك حتى وفاته.

Şişman, Cengiz :The Burden of Slience: Sabbatai Sevi and The Evolution of the Ottoman-Turkish Donmes, Oxford Press, New York, 2015, S 233.

[26] - Pech, E: Manuel Des Societes Anonymes Fonctionnant En Turquie, Paris, 1906, p198.

[27] - Pech: Manuel Des Societes, p198.

[28] - Journal De Salonique: Politique, Commerciale Et Littéraire,Publication Publication Bi Hebdomadaire, Directeur Propriétaire Saadi Levy, Salonique, 31 Mai, 1900, p2.

[29] - Pech: Manuel des Societes, p199.

[30]– لم تجد له الباحثة ترجمة.

[31] - Abastado, Leon: L'Orient Qui Meurt, Salonique Ce Qu'elle Est, Selanik, 1918, P 28-29. Anastassıadou, Meropı: Tanzimat Çağında Bir Osmanlı Şehri Selanik, Tarih Vakfı Yurt Yayınları, Istanbul, 2001, S163. Yetişgin, Memet, Özdamar, Toroshan: Osmanli Şehirlerinde Belçika Şirketlerinin Altyapi Faaliyetleri, Tarih Araştırmaları Dergisi, Ankara Üniversitesi, Ankara, 2018, Cilt 37, S 283.

2- استثمارات بلجيكا في مجال المياه في السلطنة العثمانية:

كانت مشكلة المياه في المدن التابعة للعثمانيين من أكبر المشكلات التي واجهها السكان حتى أوائل تسعينات القرن التاسع عشر، إذ تم الاعتماد على الطرق التقليدية القديمة في إمداد هذه المدن بالمياه عبر القنوات والأنابيب الترابية التي كانت تعاني من مشكلة النظافة وبالتالي ينتج عنها الكثير من الأمراض "كالملاريا"، علاوة على ذلك فإن النمو السكاني اقتضى أساليب حديثة للتخلص من نقص المياه الذي عانته المدن، لذلك حاولت السلطنة حتى منتصف القرن التاسع عشر تحسين الموارد المائية، وبناء النوافير العامة إلا أن هذه الإجراءات لم تستطع توفير المياه الكافية للسكان، خاصةً في ظل الازدياد السكاني الذي شهدته معظم أراضي السلطنة، ونتيجةً لذلك أدرك كبار التجار المحليين في سالونيك أنه لا يمكن التخلص من هذه المشكلة إلا من خلال استثمارات واسعة في المياه لتطوير الأساليب المستخدمة في المدن وللحصول على أرباح عظيمة من هذه العملية[32].

فحصل التاجر السالونيكي العثماني ناملي زاده حمدي بيك في العام1306هـ/ 1889م على امتياز لتأمين المياه لمدينة سالونيك بالطرق الحديثة ولمدة إحدى وخمسين عاماً، إلا أنه لم يتمكن من إنجاز ذلك، فعقد اتفاقية مع البلجيكيين وباع الامتياز لهم، وهكذا تأسست شركة المياه العثمانية في سالونيك برأسمال بلجيكي في العام 1308هـ/1891م[33]، وكان مقرها الإداري في بروكسل، والرئيسي في سالونيك[34].

وبعد إنشاء الشركة أجرت دراسات مكثفة لإيجاد طرق مختصرة أكثر لتأمين المياه الصالحة للشرب بدلاً من إحضارها من نهر فاردر البعيد عن أرض الشركة، كما هو محدد في الامتياز لتخفيض التكاليف كثيراً، فأدركت عندئذ أن منسوب المياه الجوفية لفاردر ممتد تحت الأرض في اتجاه خليج سالونيك، لذلك اتبعت الشركة التي تمتلك أرضاً كبيرةً جداً هناك بالبدء بحفر عشرة آبار إرتوازية يصل عمق كل منها إلى ستين متراً، ويتراوح تدفقها ما بين أربعمئة إلى ثمانمئة متر مكعب في الأربع والعشرين ساعة، وبذلك فقد أصبحت الشركة قادرة على ضخ خمسة آلاف متر مكعب من المياه يومياً، إلا أن سكان سالونيك لم يستهلكوا سوى ثمانمئة متر مكعب يومياً من هذه الكمية، أما الباقي فقد وزعته الشركة مجاناً على المراكز والمؤسسات العامة كالمدارس والمستشفيات والثكنات، ودور الحراسة لإطفاء الحرائق، كما قامت بتركيب ست نوافير عامة على نفقتها الخاصة[35].

وعلى الرغم من الميزات العظيمة التي حققتها شركة المياه عبر تمديد مياه صالحة للشرب إلى المنازل، والتمكن من الحصول عليها في أي وقت من اليوم ليلاً ونهاراً، بمقدار ثمانية عشر هيكتولتر شهرياً أي ما يعادل ستين ليتراً في اليوم، وبمبلغ شهري وقدره أحد عشر قرشاً فقط، إلا أن سكان سالونيك لم يدركوا هذه الميزات، فاستمر أغلبهم بشراء كميات قليلة من المياه الصالحة للشرب من البائعين المتجولين والاحتفاظ بها في الأواني المخصصة لها[36].

لذلك حاولت الشركة تقديم عروض لسكان سالونيك لجذبهم لاستهلاك مياه الشركة عبر منح المشتركين الجدد مياه مجانية لمدة شهرين، وصرحت عبر صحيفة سالونيك (Journal De Salonique) أنها على استعداد لتأجير التركيبات اللازمة للمياه في المنازل للأشخاص الذين لا يستطيعون شرائها برسوم سنوية قدرها 10% من المبلغ المقدر، والذي يجب أن لا يقل عن خمسة عشر قرشاً

(32) - Anastassıadou: Tanzimat Çağında, S76, 146-147.
(33) - Pech: Manuel des Societes, p185.
(34) - Journal de Salonique: 28 Novembre, 1895, p3.
(35) - Journal de Salonique: 2 Juliet, 1900, p2.
(36) - Journal de Salonique: 5 Août, 1901, p1.

في السنة يدفع مقدماً[37]، كما قدمت أيضاً عروضاً جيدة لتوفير المياه إلى المنازل قيد الإنشاء بمبلغ وقدره (قرش ونصف لكل متر مكعب) بغض النظر عن المياه المستهلكة. لكن بشرط أن يتعهد مالك المنزل أنه على استعداد لشراء مياه الشرب من الشركة لمنزله عند الانتهاء من أعمال البناء[38].

فكان للعوامل السابقة دورها في ازدياد أعداد المشتركين شيئاً فشيئاً، فبلغ عددهم في العام 1319هـ/1902م حوالي ألفين وخمسة وثمانين مشتركاً، وازداد في العام 1324هـ/ 1907م ووصل إلى أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانية وسبعين مشتركاً، أما في العام 1329هـ/1911م فقد وصل عدد المشتركين إلى سبعة آلاف ومائة وواحد وأربعين مشتركاً، وبذلك جنت الشركة أرباحاً جيدة[39]، فضلاً عن ذلك فقد ازدادت أرباحها بصورة ملحوظة عبر عقدها اتفاقاً مع إدارة رصيف سالونيك لتوصيل المياه إلى المباني المنشأة حول الرصيف، ولبيع المياه للسفن الراسية في ميناء سالونيك[40]، وعبر تمديدها للمياه إلى شركة الترام المجرورة بالخيول[41].

ونتيجةً لما حققته شركة المياه من شهرة واسعة فقد استنجد بها سكان الأرياف في سالونيك خلال العام 1320هـ/ 1903م لإنقاذهم من الجفاف الذي استفحل في أراضيهم، فقامت الشركة بدراسة أراضي المنطقة والينابيع التي فقدت مياهها هناك، فاستحدثوا طرقاً جديدةً لإعادة توفير المياه لتسع قرى[42]، وفي العام 1325هـ/ 1908م طرحت الشركة فكرة جديدة لتمديد المياه إلى سائر القرى التابعة لسالونيك لتوسيع أعمال الشركة بالدرجة الأولى[43].

حاولت صحيفة المرصد الشرقي (Moniteur Oriental)[44] توجيه جملة من الاتهامات ضد شركة المياه في سالونيك بذكر عدد من الاتهامات الموجهة ضدها، إلا أن صحيفة سالونيك ردت على هذه الاتهامات عبر توضيح أهداف الشركة المُدعية لها:

فقد ذكرت صحيفة المرصد "أن شركة المياه لم تكن تهتم كثيراً بالمصلحة العامة، كما أنها عند نشوب الحرائق فإنها كانت تتأخر كثيراً وتماطل في إطفائها، لدرجة أنها لا تفتح صنابير المياه المخصصة لإطفاء الحرائق إلا بعد انتهاء الكارثة...الخ".

إلا أن صحيفة سالونيك ردت على هذه الادعاءات ووضحت أن شركة المياه قامت بأكثر من مئتي عملية تركيب مجانية تماماً، كما أفادت الطبقة الفقيرة إلى حد كبير عبر بناء النوافير العامة، وذكرت بأن الشركة تقوم بإيداع مفاتيح الصنابير لدى غرف الحراسة الخاصة بالإطفاء، لذلك فإن تشغيل صنابير المياه المخصصة للإطفاء عند نشوب الحرائق يتم التحكم بها من قبل غرف الحراسة المعنية[45].

أما بالنسبة لرأسمال الشركة فقد بلغ حوالي خمسة ملايين فرنك تم تقسيمها إلى عشرة آلاف سهم بقيمة خمسمئة فرنك، وعندما بِيْعَتْ تم إصدار تسعة آلاف سهم أخرى بقيمة خمسة فرنكات، مما رفع إجمالي الرأسمال إلى خمسة ملايين وخمسة وأربعين ألف فرنك، كما زادت الشركة التي كان دخلها مائة واثنين وستين ألف وخمسمائة وأربعة وعشرين فرنكاً في العام 1315هـ/ 1898، من

---

(37) - Journal de Salonique: 24 Janivier, 1901, p4.

(38) - Journal de Salonique: 13 Novembre, 1899, p3, 27 Novembre, 1899, p3,15 Janivier, 1900, p3.

(39) -Anastassıadou: Tanzimat Çağında, S148.

(40) - Journal de Salonique: 13 Avril, 1908, p2.

(41) - Journal de Salonique: 31 Mai, 1900, p2.

(42) - Journal de Salonique: 5 Novembre, 1903, p1.

(43) - Journal de Salonique: 2 Avril, 1908, p1.

(44)– صحيفة المرصد الشرقي: تأسست صحيفة المرصد الشرقي في استانبول منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر برئاسة (D. A. Bellis)، وبدأت أعدادها تصدر باللغة الفرنسية، واهتمت بقضايا متنوعة (سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية)، واستمرت في العمل عشرينات القرن العشرين.

Salt Araştırma : https://archives.saltresearch.org/handle/123456789/1420.

(45) - Journal de Salonique: 12 Septembre, 1898, p3.

إيراداتها باستمرار في السنوات الخمس التالية، وأعلنت عن إجمالي دخل قدره مئتان وثمانية آلاف وثلاثمائة واثنين وسبعين فرنكاً في العام 1320هـ/ 1903م. ومع ذلك، انخفضت القيمة الاسمية لسندات الشركات من خمسمئة فرنك إلى مئة وعشرين فرنكاً (24% من قيمتها الاسمية) في العام 1321هـ/ 1904م[46]، وبقي الأمر على ذلك حتى العام 1330هـ/ 1912م عندما احتلت اليونان سالونيك فخرجت بذلك عن الحكم العثماني[47].

أما في أزمير فقد حصل بدايةً أحد كبار الأعيان هناك (إبراهيم نيازي بيك) على امتياز لتأسيس شركة المياه في العام 1310هـ/ 1893م ولمدة سبع وأربعين عاماً، ثم ما لبث أن اتفق مع البلجيكيين وباع الامتياز لهم فتأسست بعد عامين شركة مياه أزمير العثمانية برأسمال بلجيكي، وكان مقرها الإداري في مدينة لييج البلجيكية، ومقرها الرئيسي في أزمير، وتم تقسيم أسهمها إلى سبعة آلاف وخمسمائة سهم، وتحديد رأسمالها بمبلغ ثلاثة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف فرنك[48].

وبدأت الشركة بإنشاء التجهيزات اللازمة لتزويد أزمير بالمياه في العام 1315هـ/ 1898م وطلبت من السلطنة تمديد الامتياز فتمت الموافقة على تمديده لمدة خمس وثمانين عاماً، لكن على الرغم من الاستثمارات التي قامت بها شركة المياه العثمانية في أزمير إلا أنها لم تتمكن من تحقيق الربح المتوقع بسبب المياه المجانية التي فُرض على الشركة توفيرها منها تركيب عشرين نافورة (النوافير المجانية التي أقامتها للاستخدام العام)، وصنابير إطفاء الحرائق، إلى جانب المياه المجانية التي قدمتها للمؤسسات العامة التابعة للسلطنة، وللمستشفيات العسكرية والبلدية والعامة[49]، وظل بذلك عدد المشتركين أقل من التقديرات المتوقعة إذ بلغ عدد المشتركين في الشركة ألفاً وأربعمئة وثلاثة وخمسين في العام 1317هـ/ 1900م، وبلغ ألفي وثمانمئة مشترك في العام 1319هـ/ 1902م وأربعة آلاف وواحد وخمسين في العام 1326هـ/ 1909م وخمسة آلاف ومئة وثلاثة وتسعين في العام 1336هـ/ 1918م[50].

3- استثمارات بلجيكا في مجال الإضاءة بالغاز والكهرباء في السلطنة العثمانية:

عانت المدن العثمانية عامةً وإستانبول خاصةً من مشكلة الاعتماد على النار والشموع والمصابيح الزيتية في الإضاءة حتى القرن التاسع عشر وما ينتج من أضرار ومشاكل إثر استخدامها، فكان لابد من إيجاد استثمارات جديدة لتطوير الإضاءة عبر استخدام المصابيح الغازية، كما هو الحال في الدول الأوروبية الكبرى[51] لذلك كان لابد من تقديم امتياز استثماري لإحدى الدول الأوروبية المستثمرة بالسلطنة لتنفيذ هذا المشروع.

لكن السلطنة لم ترغب بمنح مثل هذه الاستثمارات إلى الأجانب، وفضلت إعطائها لكبار العثمانيين فحصل بذلك التاجر الإستانبولي حسن تحسين أفندي[52] على امتياز لإضاءة الجانب الأوروبي من إستانبول في العام 1304هـ/1887م ولمدة سبع سنوات، فاستغلت بلجيكا ذلك وحاولت جاهدة الحصول على الامتياز منه فلم يكن أمامها إلا التعاون مع حسن تحسين أفندي

(46) - Pech: Manuel des Societes, p185-186.

(47) - Anastassıadou: Tanzimat Çağında, S 369.

(48) - Marouche, P, Sarantis, G: Annuaire Financier de Turqie, Imprimerie du Levant Herald, Constantinople, 1912, p69. Pech: Manuel des Societes Anonymes, p183-184.

(49) - L'Economiste européen: Publication Publication Bi Hebdomadaire, Rédacteur en chef Edmond théry, Paris, 22 Février, 1896, P 28-29.

(50) - Yetişgin, Özdamar: Osmanli Şehirlerinde Belçika Şirketlerinin, Cilt 37, S 287-288.

(51) - Ezenci, Zeynep Firat, Altuncu, Damla: İstanbul'da Bir Üretim Mirası: 19. ve 20. Yüzyıl Aralığında Aydınlatma Tasarımının Zamandizini, Haliç Üniversitesi Fen Bilimleri Dergisi, Istanbul, 2021, Cilt 4, S 125-126. T. Karateke, Hakan, Anetshofer, Helga: The Ottoman World: A Cultural History Reader 1450-1700, University Of Californa Press, California, 2021, P 112.

(52)- لم تجد له الباحثة ترجمة.

وتمويل شركة الإضاءة بالكامل، وبذلك فقد أصبح الامتياز للبلجيكيين وتأسست شركة "شركة إضاءة مدينة إستانبول" في العام 1305هـ/ 1888م والمعروفة باسم غاز دي إستانبول، وكان الهدف من إنشائها إضاءة الجانب الأوروبي من إستانبول وخاصةً الأماكن الواقعة على مضيف البوسفور (أيوب، وباكير كوي، ويشيلكوي) وتم تمديد الامتياز لمدة أربعين عاماً. وكان مقرها الرئيسي في إستانبول، ومقرها الإداري في بروكسل[53].

افتتحت الشركة في العام 1307هـ/ 1890م مصنعاً تابعاً لها، يتكون من قاعتين كبيرتين بحجم ثلاثمئة قدم، وخزان يحتوي على ما يقارب نصف مليون قدم مكعب، كما يحتوي المصنع على قاعة تقطير يوجد فيها حوالي عشرة أفران لتقطير فحم الكوك بعدة تقنيات، وللتخلص من الأمونيا والقطران، وحمض الكربونيك الذي من شأنه أن يضر بقوة الانارة بصورة كبيرة، وكذلك التخلص من الكبريت الذي ينشر الرائحة الكريهة، ويتم ذلك عبر نقل الغاز إلى صناديق تنقية، فيمر الغاز عبر طبقات من المواد مثل الجير واكسيد الحديد وبذلك يكون الغاز جاهزاً للاستخدام، فيتم تحديد الكمية التي تناسب الاستهلاك اليومي ومن ثم نقل الغاز بواسطة شبكة قنوات ليخرج من خلال الفوهات والمصابيح والمواقد والمشاعل والمداخن والمحروقات وغيرها من الأجهزة الخاصة والعامة[54].

وبذلك قامت الشركة بإنارة الطرق العامة والمباني الرسمية التابعة للسلطنة، وتلقت عدة طلبات للاشتراك في المنشآت الخاصة فبلغ عدد الفوانيس التي ركبتها الشركة في العام 1314هـ/ 1897م إلى تسعة آلاف ومئتين واثنين وستين فانوساً، ووصل الاستهلاك العام حوالي مليون وثلاثمائة وستة وستين ألف متر مكعب[55]، كما شهدت الشركة أيضاً ارتفاعاً في استهلاك المشتركين الغاز للتدفئة إلى جانب الإضاءة، فكان البلجيكيون راضين بذلك عن الأرباح التي حققتها شركة الغاز حتى أوائل القرن العشرين[56]، إلا أن ذلك لم يدم، إذ سرعان ما انخفضت إيرادات الشركة بسبب اهتمام بلجيكا بالمساهمة إلى جانب الدول الأوروبية الكبرى بعدد من الاستثمارات الخاصة بالكهرباء.

4- مساهمة الرأسمال البلجيكي في بعض الاستثمارات الأجنبية في السلطنة العثمانية:

ساهمت بلجيكا إلى جانب انفرادها بعدد من الاستثمارات في السلطنة العثمانية بتقديم رأسمالها ومعداتها الصناعية لمشاركة بعض الدول الأوروبية المستثمرة هناك، فانضمت إلى جانب فرنسا لتأسيس عدد من الشركات الاستثمارية في مجال الترام والغاز والكهرباء كشركة ترام أزمير–جوزتيبي (İzmir-Göztepe Tramvay ve Elektrik Şirketi) في العام 1296هـ/1879م، وشركة غاز بيروت (La Compagnie du Gaz de Beyrouth) في العام 1302هـ/1885م، والشركة العثمانية للإضاءة بالغاز والكهرباء في أسكدار–إستانبول (Société Imperiale Ottomane d'Eclairage par le Gaz et Electricité Üsküdar) في العام 1308هـ/1891م، وشركة الترام والكهرباء العثمانية في دمشق (Société Anonyme Ottomane des Tramways et de l'Electricité de Damas) في العام 1320هـ/1903م، وشركة الترام والكهرباء العثمانية في بيروت(Société Anonyme Ottomane des Tramways et de l'Electricité de Beyrouth) في العام 1323هـ/ 1906م، كما انضمت المجر إلى فرنسا وبلجيكا لتأسيس شركة الكهرباء العثمانية في إستانبول

(53) - Reeck, Marc Van den: Belgium in the Ottoman Capital, From the Early Steps to 'la Belle Epoque', an Edition of the Consulate General of Belgıum, İstanbul, 2000, S41. Yetişgin, Özdamar: Osmanli Şehirlerinde Belçika Şirketlerinin, Cilt 37, S292.

(54) - Stamboul: Journal Quotidien, Fondateur John Laffan Hanly, Directeur Baron Hanry Hanly, Istanbul, 21 Octobre, 1890, P 1-2.

(55) - Güran, Tevfik: Osmanlı Devletinin İlk İstatistik Yıllığı 1897, Başbakanlık Devlet İstatistik Enstitüsü, Ankara, 2011, S271.

(56) - Reeck: Belgium in the Ottoman Capital, S42.

(Société Anonyme Ottomane d'Electricité) في العام 1329هـ/1911م[57]. يضاف إلى ذلك أن بلجيكا انضمت إلى جانب المجر في امتياز شركة غانز للكهرباء في إستانبول (Société Anonymed'Electricité Ganz) في العام 1329هـ/1909م[58].

فحققت بلجيكا من هذه المشاركات الاستثمارية مع الدول الأوروبية عائدات مالية أسهمت برفد اقتصادها؛ لكنها لم تحصل إلا على عدد ضئيل جداً من الاستثمارات في السلطنة مقارنةً مع كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا، لذلك فقد جمعت المراجع الأجنبية نسبة الاستثمارات البلجيكية في السلطنة مع الاستثمارات المجرية والهولندية والنمساوية والأمريكية والسويسرية، في حين أفردت جانباً خاصاً لكل من الاستثمارات البريطانية والفرنسية والألمانية؛ لكون الاستثمارات البريطانية بلغت حوالي ثمانين ألفاً وثمانمئة وخمسة وتسعين جنيهاً إسترلينياً، ما يقارب 56.2%، وأما الاستثمارات الفرنسية فقد بلغت خمسين ألفاً وعشرين جنيهاً إسترلينياً، ما يقارب 31.7%، في حين بلغت الاستثمارية الألمانية حوالي مئة وستة وستين جنيه إسترليني، ما يقارب 1.1%، أما سائر الدول الأوروبية المستثمرة في السلطنة بما فيهم بلجيكا فقد بلغت استثماراتهم عشرة آلاف وسبعمئة وأربعة وأربعين جنيهاً إسترلينياً ما يقارب 11.1%، وعلى ذلك فقد بلغ مجموع الاستثمارات الأجنبية في السلطنة العثمانية في العام 1305هـ/ 1888م حوالي خمسة عشر ألفاً وثمانمئة وخمسة وعشرين جنيهاً إسترلينياً توزعت في البنوك، والسكك الحديدية، والموانئ، والتعدين، والكهرباء، والمياه، وفي الصناعة، والمناجم، والتجارة، والإضاءة، والترام، والتأمينات[59].

وفي العام 1332هـ/ 1914م تراجعت حصة بريطانيا حتى بلغت حوالي أحد عشر ألف وخمسمئة وستة عشر جنيهاً إسترلينياً، أي ما يعادل 14% فقط، في حين سبقتها حصة الاستثمارات الفرنسية التي وصلت إلى سبعة وثلاثون ألفاً وثلاثمئة وثلاثة وثمانون جنيهاً إسترلينياً، ما يعادل 45.3%، ثم تبعتها ألمانيا التي شغلت ثاني أكبر حصة في الاستثمار الأوروبي في السلطنة بعد فرنسا إذ بلغت حصتها حوالي ثمان وعشرون ألفاً وسبعة جنيهات إسترليني، ما يعادل 34%، أما سائر الدول الأوروبية التي استثمرت في السلطنة بما فيهم بلجيكا فقد بلغت استثماراتهم حوالي خمسة آلاف وخمسمئة جنيه إسترليني، ما يعادل 6.7%[60].

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج الرئيسة، من أهمها:

- بذلت بلجيكا جهوداً كبيرة للتخلص من أعباء انضمامها إلى الدول المجاورة، ولتأسيس حكم مستقل بها، وما إن تحقق ذلك حتى بدأت تسير على نهج الدول الأوروبية الكبرى عبر تكثيف الصناعات وتطويرها وإنشاء المؤسسات الصناعية الخاصة بها، ثم ما لبثت أن بدأت بالتركيز على مناطق خارج حدودها لإيجاد بلدان تستوعب منتجاتها الصناعية، ولتأمين المواد الأولية اللازمة لصناعاتها.
- تركزت أنظار بلجيكا على السلطنة العثمانية فبدأت شيئاً فشيئاً تطور علاقاتها التجارية معها ثم أقدمت على عقد معاهدتين معها، ونتج عن ذلك تغلغل تجاري عزز تصدير رؤوس الأموال للبدء بالاستثمارات في السلطنة العثمانية.

---

(57) -Geyikdağı: Foreign Invesment in the Ottoman, p 115-121.Yetişgin, Özdamar: Osmanli Şehirlerinde Belçika Şirketlerinin, Cilt 37, S288-301.

(58) -Geyikdağı: Foreign Invesment in the Ottoman, p 115.

(59) -Geyikdağı: Foreign Invesment in the Ottoman, p58-60. Pamuk, Şevket: The Ottoman Empire And European Capitalism 1820-1913 Trade investment and production, Cambridge University Press, New York, 1987, p79.

(60) -Geyikdağı: Foreign Invesment in the Ottoman, p 74.

- حاولت بلجيكا بدايةً الحصول على امتيازات في السكك الحديدية لتحقق أرباح طائلة عبر تأسيسها، وفي الوقت ذاته لبيع المعدات والآلات الثقيلة البلجيكية في السلطنة، إلا أن المنافسة البريطانية – الفرنسية – الألمانية هناك من جهة وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني من جهة أخرى حالت دون وصول بلجيكا إلى أهدافها، وبذلك لم تستطع بلجيكا الانفراد بامتياز استثماري خاص بالسكك الحديدية فلم يكن أمامها إلا المساهمة مع الدول الأوروبية المستثمرة في السلطنة في عدد من امتيازات السكك الحديدية، والاتجاه إلى الاستثمارات في البنية التحتية عبر استغلال كبار التجار المحليين (حمدي بيك – إبراهيم نيازي بيك– حسن تحسين أفندي) وإقدامها على شراء عدد من الامتيازات فور حصول هؤلاء التجار عليها، بل ربما تعاونت معهم للحصول عليها؛ لكون السلطنة كانت تفضل إعطاء الامتيازات الاستثمارية لكبار العثمانيين بدلاً من الأجانب.
- اتجهت بلجيكا بعد إخفاقها في التفرد بامتيازات السكك الحديدية إلى استثمارات في مجال الترام المجرور بالخيول واختارت لذلك مدينة سالونيك لكون سكانها كانوا بأمس الحاجة إلى وسائل نقل حديثة في ظل الازدياد السكاني الذي حدث فيها، فحققت نتيجةً لذلك أرباح طائلة لكون هذه الوسيلة حصلت على شعبية واسعة هناك.
- لم تستطع بلجيكا الوقوف بوجه الدول الأوروبية الكبرى المستثمرة في السلطنة فكانت استثماراتها قليلة مقارنةً مع الاستثماراتالتي حصلت عليها فرنسا وبريطانيا وألمانيا.
- كان لاستثمارات البلجيكيين في مجال المياه الصالحة للشرب في كل من سالونيك وأزمير أثره الكبير في سلامة السكان من الأمراض كالملاريا التي كانت تنتج عن استخدام مياه الشرب الملوثة، فضلاً عن قدرتهم على السيطرة على الحرائق وإطفائها بطرق فعالة.
- تمكنت بلجيكا من الحصول على امتياز لتطوير الإنارة في إستانبول عبر استخدام الغاز لذلك فحققت أرباحاً جيدة من هذا الامتياز لكنها لم تلبث أن انخفضت في بدايات القرن العشرين نتيجة تبديل الإضاءة بالغاز إلى الإضاءة بالكهرباء.
- لم يكن لبلجيكا أهداف ونوايا استعمارية كفرنسا وبريطانيا في السلطنة، إذ اكتفت بتحقيق مكاسب اقتصادية عبر استثماراتها هناك، ربما لعدم قدرتها على خوض هذا المضمار.
- لاشك في أن الاستثمارات المباشرة في البنية التحتية لها فوائد عظيمة على المجتمع بأكمله، إذ يضمن له تطور وسائل المعيشة ومواكبة التقدم الذي شهدته الدول الأوروبية، إلا أن الأهداف الخفية التي تحملها الدول الاستثمارية–الاستعمارية جلبت المصائب والكوارث والاستغلال الكبير لموارد السلطنة العثمانية والذي انتهى بانهيارها وتقاسم الدول الأوروبية لأراضيها.

المراجع:

1. آصاف، يوسف بك: المعاهدات الدولية التي عقدتها الدولة العلية مع الدول الاوروباوية، المطبعة العمومية، د.ط، القاهرة، 1888م.
2. باتريك، جون: القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة ناهد إبراهيم دسوقي، دار المعارف، د.ط، الإسكندرية، 2003م.
3. حرب، محمد: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م.
4. خاطر، نصري ذياب: التاريخ الأوروبي الحديث، الجنادرية للنشر والتوزيع، د.ط، عمان، 2010م.
5. الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، 4 أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، القاهرة، 2013م.
6. صفوت، محمد مصطفى: انجلترا وقناة السويس 1854–1951، مطابع رمسيس، الاسكندرية، د.ط، 1952م.
7. عبد الحميد الثاني، السلطان: مذكراتي السياسية 1891– 1908، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1979م.
8. باركنسن، روجر: موسوعة الحرب الحديثة، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، جزأين، دار المأمون، د.ط، بغداد، 1990م.
9. الزيدي، مفيد: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، 4 أجزاء، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط3، عمان، 2009م.
10. صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 2000م.
11. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، ط1، دمشق، 1998م.
12. حسن، محمد عبد الغني: استقلال بلجيكا والنظام الملكي فيها، مجلة الثقافة، القاهرة، 31 يوليو 1950م، العدد 605.

1. Journal de Salonique: Politique, Commerciale et Littéraire,Publication Publication Bi Hebdomadaire, Directeur Propriétaire Saadi Levy, Salonique, 1895, 1899, 1900, 1901, 1903, 1908.
2. L'Economiste européen: Publication Publication Bi Hebdomadaire, Rédacteur en chef Edmond théry, Paris, 1896.
3. Stamboul: Journal Quotidien, Fondateur John Laffan Hanly, Directeur Baron Hanry Hanly, Istanbul, 1890.
4. Anckaer, Jan: Small Power Diplomacy and Commerce. Belgium and The Ottoman Empire During The Reign Of Leopold I (1831-1865), The Isis Press, Istanbul, 2013.
5. Birdal, Murat: The Political Economy Of Ottoman Public Debt Insolvency and European Financial Control in The Late Nineteenth Century, I.B. Tauris Publishers, New York, 2010.
6. Blaisdell, Donald: European Financial Control in the Ottoman Empire, Columbia university press, New york, 1929.
7. Der Essen, Léon Van: A Short History Of Belgium, The University Of Chicago Press Chicago, Illinois, 1916.
8. Geyikdağı, V. Necla: Foreign Invesment in the Ottoman Empire International Trade and Relations 1854–1914, I.B.Tauris Publishers, New york, 2011.

9. Pamuk, Şevket: The Ottoman Empire and European Capitalism 1820-1913 Trade investment and production, Cambridge University Press, New York, 1987.
10. Reeck, Marc Van den: Belgium in the Ottoman Capital, From the Early Steps to 'la Belle Epoque', an Edition of the Consulate General of Belgıum, İstanbul, 2000.
11. Roth, Ralf, Dinhobl, Günter: Across the Borders Financing the World's Railways in the Nineteenth and Twentieth Centuries, Routledge, New York, 2016.
12. Şişman, Cengiz :The Burden of Slience: Sabbatai Sevi and The Evolution of the Ottoman-Turkish Donmes, Oxford Press, New York, 2015.
13. T. Karateke, Hakan, Anetshofer, Helga: The Ottoman World: A Cultural History Reader 1450-1700, University Of Califorina Press, California, 2021.
14. Abastado, Leon: L'Orient qui Meurt, Salonique ce Qu'elle Est, Selanik, 1918.
15. Du Velay, A: Essai sur L'Histoire Financière de la Turquie, Depuis le Règne du Sultan Mahmoud II Jusqu'à nos Jours, Arthur Rousseau, Paris, 1903.
16. Gesellschaft John Cockerill In Seraing (Belgien), Druckerei Von Leon de Their, Liège, 1873.
17. Marouche, P, Sarantis, G: Annuaire Financier de Turqie, Imprimerie du Levant Herald, Constantinople, 1912.
18. Pech, E: Manuel des Societes Anonymes Fonctionnant En Turquie, Paris, 1906.
19. Anastassıadou, Meropı: Tanzimat Çağında Bir Osmanlı Şehri Selanik, Tarih Vakfı Yurt Yayınları, Istanbul, 2001.
20. Geyikdağı, V. Necla: Osmanlı Devleti'nde Yabancı Sermaye 1854 – 1914, Hil Yayın, Istanbul, 2008.
21. Güran, Tevfik: Osmanlı Devletinin İlk İstatistik Yıllığı 1897, Başbakanlık Devlet İstatistik Enstitüsü, Ankara, 2011.
22. Ezenci, Zeynep Firat, Altuncu, Damla: İstanbul'da Bir Üretim Mirası: 19. ve 20. Yüzyıl Aralığında Aydınlatma Tasarımının Zamandizini, Haliç Üniversitesi Fen Bilimleri Dergisi, Istanbul, 2021, Cilt 4,
23. Yetişgin, Memet, Özdamar, Toroshan: Osmanli Şehirlerinde Belçika Şirketlerinin Altyapi Faaliyetleri, Tarih Araştırmaları Dergisi, Ankara Üniversitesi, Ankara, 2018, Cilt 37.
24. Salt Araştırma : https://archives.saltresearch.org/handle/123456789/1420.